



جامعة الشهيد محمد خضير - الوادي
كلية العلوم الإسلامية



بالتعاون مع : مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان - تونس

الندوة العلمية الدولية :

سؤال التنمية في فكر مالك بن نبي

التنمية الاجتماعية والثقافية

الأربعاء والخميس : 30 و 31 أكتوبر 2024م

المقاربة التنموية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي
بين ثنائية شروط النهضة والقابلية للاستعمار

د. فؤاد جدو

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية - جامعة بسكرة (الجزائر)

foued.djeddou@univ-biskra.dz

الملخص :

تعتبر أفكار مالك بن النبي من بين الأفكار الخلاقة و الدافعة لبناء عملية توليدية في الأفكار والعمل والقابلية للتطبيق في البعد الإنساني والمكاني، ومن هذا المنطلق نجد ان مالك بن النبي حاول معالجة المعضلات التنموية خاصة في شقيها الاجتماعي والإنساني والثقافي كأولوية أساسية في مسار التغيير باعتبار الانسان هو المكون الأساسي لاي حضارة والفعال في ربط التشابكات المجتمعية، ولهذا اردنا في هذه الورقة البحثية التطرق الى التنمية الاجتماعية عند مالك بن النبي وفق الاطروحات التي جاءت في شروط النهضة اين حدد المتغيرات الأساسية في هذه العملية والتي عرفت نجاحا في العديد من الدول من خلال التركيز على الانسان و مشكلات الفساد وبناء التقدم بكل ابعاده وفي المقابل نحاول ربط احد العقبات الأساسية في التنمية الاجتماعية مشكلة الذهنيات و نصف الانسان التي طرحها في القابلية للاستعمار و هاتين النقطتين يمكن من خلالهما ان نقدم زاوية أساسية في فهم اهم المقاربات التي قدمها مالك بن النبي في تحقيق التنمية من باب التنمية الاجتماعية .

مقدمة:

تعتبر مسألة التنمية من بين القضايا الأساسية التي لم ينتهي فيها النقاش منذ تشكل النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية لأن التنمية ليست هدفا بقدر ماهي مسار أساسي تعسى الدول الى تحقيق الرفاهية والعيش الكريم لمواطنيها ومن جانب اخر تعتبر التنمية مصطلحا هلاميا في العديد من الدراسات المتشابكة والمتخصصة سواء في الاقتصاد او السياسة او علم الاجتماع.

ويعتبر المفكر مالك بن النبي من بين الذين كتبوا في هذا المجال خاصة التنمية الاجتماعية باعتبارها رافد من التنمية بشكل عام خاصة في العديد من الكتب واهمها شروط النهضة والتغيير وغيرها اين ركز على البعد الاجتماعي والتفاعل الإنساني في تحقيق التنمية التي لا يمكن الوصول اليها دون صناعة الانسان والعقل اين أردنا معالجة هذه الجزئية من خلال طرح الإشكالية التالية ماهي محددات المقاربة التنموية الاجتماعية في فكر مالك بن النبي بين ثنائية شروط النهضة والقابلية للاستعمار؟

وتحت هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالتنمية والتنمية الاجتماعية؟
- ماهي مرتكزات التنمية الاجتماعية وفق مقاربة شروط النهضة؟
- ماهي معيقات تحقيق التنمية الاجتماعية عند مالك بن النبي؟

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة على المنهج الوصفي التحليلي من اجل دراسة وتحليل التنمية الاجتماعية عند مالك بن النبي بالإضافة الى المنهج المقارن التاريخي والذي استخدمناه في تحليل اهم المتغيرات في التنمية الاجتماعية وفق ثنائية القابلية للاستعمار وشروط النهضة في الدول العربية والإسلامية.

و سنعالج هذه الورقة وفق العناصر التالية :

- 1- مفهوم التنمية الاجتماعية .
- 2- محددات التنمية الاجتماعية وفق مقاربة النهضة
- 3- شروط تجاوز قابلية الاستعمار لتحقيق التنمية الاجتماعية
- 4- مناقشة وتقييم

1- مفهوم التنمية الاجتماعية:

من ادبيات الدراسة من الضروري التطرق الى تعريف التنمية قبل التعمق في التنمية الاجتماعية عموما وعند مالك بن النبي خصوصا، فالتنمية تعتبر مصطلحا اقتصاديا بالدرجة الأولى باعتباره انه تحدث عن النمو الاقتصادي رغم الاختلاف في المعنى بينه وبين التنمية ومن ثم تممد استخدام هذا المصطلح الى

التخصصات الأخرى في علم الاجتماع والسياسة والفكر وغيرها.

فمصطلح التنمية هلامي لصعوبة ضبطه في إطار معين ويمكن ان نعرف التنمية " بانها عملية واعية ومخططة وهادفة تتطلب تنظيماً من قبل الدولة من خلال تدخلها بواسطة السياسات التنموية الجزئية القطاعية والشاملة الوطنية حيث تصبح الدولة من خلال هذا التدخل مسؤولة عن النجاح او الفشل في توظيفها كل الإمكانيات المتاحة وبالتالي فهي توجه المجتمع دون ان تتركه ينمو تلقائياً"¹.

فهذا التعريف يربط التنمية بالسياسات العامة للدولة التي تقوم بعملية رسمها وفق الاحتياجات التي تتطلبها الدولة والشعب مما يحقق عملية النمو وفق ميزان يراعي الاحتياجات والامكانيات.

وحسب تعريف الأمم المتحدة للتنمية هي تلك العمليات التي يمكن توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمجتمعات المحلية وتلبية كافة المتطلبات الأساسية وتوفير الرفاهية لجميع البشرية لإنجاز تطلعاتها من اجل حياة أفضل"² من جانب اخر هناك من أضاف مصطلح التنمية الحضارية التي تركز على تحقيق عمل جماعي تعاوني ديمقراطي يعزز المشاركة وفي المقابل نجد ان التنمية الاجتماعية هي تنمية المجتمع ككل والعمل على تحقيق التوازن الاجتماعي فهي تعني ترقية افراد المجتمع ككل من خلال السعي الى رفع المستوى المعيشي للسكان."³

وظهرت مصطلحات بعدها مثل التنمية الاقتصادية والتنمية المستدامة والبشرية والشاملة وهي تطور طبيعي لمفهوم التنمية عموماً في شقها الاقتصادي وغيرها الا ان التنمية الشاملة تعتبر المرحلة النهائية لمفهوم التنمية في الوقت الراهن، ويمكن ان نقدم مفهوم التنمية الشاملة وفق تعريف منظمة الاسكوا « هي سياسات في الحماية الاجتماعية وبرامج إنمائية طويلة الأجل تستهدف جميع أفراد المجتمع، وتركز بشكل خاص على الفئات المهمشة والمعرضة للمخاطر، من أجل القضاء على الفقر والتخفيف من عدم المساواة بجميع أشكاله. ويغطي مفهوم التنمية الشاملة الحماية الاجتماعية، والحد من الفقر، والعدالة الاجتماعية، والإعاقة. ويركز على التنمية حقاً أساسياً من حقوق الإنسان، تخفف عن الأفراد ما يتعرضون له من مخاطر خلال مراحل الحياة، وتمكّنهم من العيش بكرامة."⁴

وفي تعريف اخر للتنمية الاجتماعية هي عملية تغيير بنائي شامل ومخطط له ترمي الى تحقيق عدة أهدافه الارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي " أي انها تقوم على تغير الأوضاع القديمة أي عملية الهدم

¹ معمري بن عيسى، التنمية تطور مفهومها واهم نظرياتها وعقبات تحقيقها في الدول النامية"، مجلة أبحاث، العدد 05، افريل 2018، ص 55

² اوصيف محمد الصالح، سعد قويدر، الفكر الحضاري التنموي عند مالك بن نبي مقارنة فكيرة سنغافورة انموذجا، مجلة أبحاث ودراسات تنموية، المجلد 9 / العدد 02، ديسمبر 2022، ص 105

³ مرجع نفسه، ص 106

⁴ التنمية الشاملة، منظمة الاسكوا، مأخوذ من موقع <https://www.unescwa.org/ar/focus/inclusive> تاريخ النشر 2024، تاريخ الاطلاع

واقامة بناء اجتماعي جديد يختلف عن البناء القديم أي القيام بعملية البناء الاجتماعي⁵.

خصائص التنمية:⁶

- الشمولية: ويقصد بها العمومية فالتنمية عملية شاملة وعامة لكل القطاعات فهي عبارة عن تغير يخص جميع الجوانب والأنشطة في المجتمع باعتبارها نظاما متكاملًا لا يجوز تجزئته لهذا يستوجب ان يكون شاملاً.

- الاستمرارية: من اجل الوصول الى التنمية لا بد من الاستمرارية في تنفيذ الاستراتيجية المتبعة للوصول الى الرؤى المنشودة.

- عملية إدارية: نعني ان التنمية قائمة على التخطيط بالدرجة الأولى الى جانب بعض المهام الإدارية الأخرى من تنظيم ومرافقة وتنفيذ.

- عملية هادفة: تعني ان عملية التنمية تسعى الى تحقيق مجموعة من الأهداف فهي تعمل على تحقيق رفاهية المجتمع.

وفي دراسات عديدة ارتبطت التنمية بمفهومها الشامل اين ارتبطت التنمية بالتخلف ولهذا دخلت الدول بعد الحرب العالمية الثانية في البحث عن سبل الخروج من التخلف وكان هذا اول مرة يتم فيها الربط ما بين التخلف والتنمية وخاصة التنمية الاجتماعية كمنطلق أساسي الذي يستثمر في الرأسمال البشري وارتبطت العديد من النظريات التي تعمل على إيجاد حلول لمسألة التخلف وتحقيق التنمية والتقدم في الدول التي عرفت الاستقلال حديثا عن الاستعمار.

2- محددات التنمية الاجتماعية عند بمالك بن نبي وفق مقارنة النهضة:

بالنسبة لمالك بن نبي فيعتبر التنمية علاقة ترابطية مع العديد من المفاهيم لا تنفصل عن بعضها بل تكون وحدة تفاعلية تبحث في النهاية الى مخرجات تسعى الى التغير وتنمية الانسان وبناء حضارة تعود الى أصلها وهو الإسلام.

فمفهوم التنمية عند مالك بن نبي فلها مأخذ اخر حيث يعتبر من الذين اهتموا بشكل أساسي بالتأصيل في الحضارة والتنمية في المنطقة الإسلامية، فهو يؤسس لفكرة التنمية من دخل متكامل بأخذ نظرة كلية للمجتمع ورفض التفسيرات الجزئية لها وذلك ان المجتمع وحدة كلية تترايط اجزاؤها ولا يمكن ان تفهم الا من خلال علاقتها مع الأعضاء الاخرين، أي ان فهم أي نظام او ظاهرة اجتماعية الا في ضوء علاقتها بالسياق الاجتماعي العام الذي توجد في اطاره.⁷

⁵ سعاد إبراهيم السلموني، استراتيجية التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2020، ص 11

⁶ اوصيف محمد الصالح، مرجع سابق، ص 106

⁷ العابد ميموب، التنمية في فكر مالك بن نبي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 01، 2012/06/15، ص 584

وينطلق مالك بن نبي من إشكاليات بناء الحضارة وذلك يطرح تصورات التخلف في المنقطة العربية والتي ترتبط أساسا بالمشكلات الحضارية والاجتماعية حيث يضع قراءة أولية لمسألة التخلف بطبيعة المكان الذي يتفاعل فيه الانسان ويعيش فيه فالإنسانية لا تعاني من مشكلة واحدة بل من مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ فلا يمكن المقارنة بين الرجل الأوروبي المستعمر والرجل الإسلامي الذي لديه القابلية للاستعمار.⁸

وبالتالي يرى مالك بن نبي ان اول أسس التنمية الاجتماعية والتغير تنطلق من تحديد المشكلات الاجتماعية وقد سبق ان قدم مالك بن نبي انتقادات للعديد من المقاربات النظرية التي تأسست في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي جاء وفق البيئة الغربية التي تقوم على قيم المستعمر الغربي وافكاره وقيمه والتي تختلف عن البيئة الإسلامية حيث ارجعها الى الأسباب التالية:⁹

- عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة.
- عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا.
- عدم تحديد الوسائل تحديدا يناسب الغاية المنشودة والامكانيات.

فمالك بن نبي حاول ان يحدد ابعاد التخلف وسببها التنمية من خلال استعراض ودراسة النماذج الواقعية اين عرض مشكلة الفرد في بلجيكا مثلا الرجل لا يجد توزنا اقتصاديا في حياته مما خلق صراعا بين حاجياته وطبيعة النسيج الصناعي الذي يعيش فيه بسبب عدم الملائمة حيث برزت مشكلة اجتماعية يعاني منها الشعب البلجيكي وهي مشكلة اجتماعية عرفها بالحركة بينما في العالم الإسلامي المشكلة متناقضة مع الغرب وهي الركود أي عكس الحركة أي ان الانسان المسلم بقي رهين السير التاريخية وركن الى الراحة.¹⁰

وقد حاول مالك بن نبي ان يشخص الوضع أكثر حيث انتقد توجه علم الاجتماع الى دراسة قضايا العالم الثالث حيث أطلق على مشكلاته مصطلح التخلف ولهذا فهو يرى بأن تناول موضوع الحضارة وتحقيق التنمية الاجتماعية لا يجب ان يكون تحت زاوية التخلف بل يجب ان يؤخذ كمجرد تعبير شامل لظاهرة التخلف وليس مقصد في حد ذاته وبالتالي ربط التخلف بالنمو عبر دراسته وفق منحنيات بيانية والمحددات الاقتصادية.¹¹

فمالك بن نبي لا ينظر الى النمو من باب الاقتصاد واختراع الالة البخارية بل وضع سياق التور في بيئته التاريخية وكل الأفكار وضروب الخلق والانشاء وكل انتاجات الحضارة وسياقاتها وكل هذا لا يكون ضمن عبقرية انسان مفرد بل ضمن سياق الحضارة ككل.

⁸ مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986، ص 75

⁹ العابد ميهوب، مرجع سابق، ص 584

¹⁰ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 75

¹¹ مالك بن نبي، مشكلات الحضارة القضايا الكبرى، تر: عمر كامل المسقاوي، دمشق: دار الفكر، 2000، ص 37

ويعود مالك بن نبي الى وضع أسس أي تنمية في سياق الحضارة وليس النمو والتنمية الاقتصادية الى ثلاثة عناصر أساسية الا وهي: الانسان والزمن والتراب والتي تشكل لنا مخرجات الحضارية والانعقاد من التخلف والقابلية للاستعمار.

فالحضارة عند مالك بن نبي تقوم على مفهوم البناء وليس التكديس فالبناء هو الكفيل بتأسيس الحضارة وهذا يتطلب وجوب الوعي بالمنظومة الاشتراكية لبناء الحضارة وتركيبها لذلك شروط التنمية الثلاث عند مالك بن نبي متكاملة فيما وقد سبق وان ذكرناها سابقا الا وهي الانسان والتراب والزمن، او يمكن حسب ما يراه مالك بن نبي بأنها مشكلات وهي:¹²

- مشكلة الانسان وتحديد شروط انسجامه مع التاريخ.
- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.

وبالتالي من الضروري التطرق الى عناصر التنمية وبناء الحضارة بشكل مفصل كما يلي:

• العنصر الأول: الانسان:¹³

الانسان في الوقت الراهن يؤثر في مجتمعه من خلال ثلاث مؤثرات وهي: توجيه الثقافة والعمل وراس المال، وهذه المتغيرات لا تتم الا من خلال التوجيه الذي يعتبر القوة في الأساس لأنه عدم التوجيه يضيع الطريق ويبدد الطاقات بشكل يجعلنا لا نستفيد من القدرات والامكانيات المتاحة.

فلقد بين مالك بن نبي أهمية الانسان في التنمية بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى وذلك من خلال توجيه الانسان في ثلاث نواح وهي:¹⁴

ا- توجيه الثقافة

ب- توجيه العمل

ج- توجيه الرأسمال

واعتبر مالك بن نبي ان فكرة التوجيه تعني قوة وتوافق في السير ووحدة في الهدف ويرى ان الكثير من القوى والطاقات لم تستخدم لأننا لم نعرف كيف نكتلها وكم من طاقات ضاعت فلم تحقق هدفها ضمينا حتى زحمتها قوى أخرى، وبالتالي التوجيه هو تجنب الاسراف في الجهد والوقت وإدارة السواعد والعقول لإنتاج ما هو مهم.

¹² يوسف ازروال، ظاهرة التخلف ومسألة التنمية في ضوء فكر مالك بن نبي، المجلة الجزائرية للامن والتنمية، العدد15، جويلية 2019،

ص 53

¹³ مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986، ص 75

¹⁴ العابد مهبوب، مرجع سابق، ص 584

فتوجيه الثقافة يكون بتصفية عادتنا وتقاليدنا واطارنا الخلقى الاجتماعي بما فيه من عوامل قتالية ورمم لا فائدة منها حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية للحياة وهذا لا يأتي الا بفكر جديد يحطم الموروث القديم وتحقيق وضع جديد يبعث على النهضة.¹⁵

كما يتجه مالك بن نبي الى ضرورة وضع منهاج جديد للتفكير يقوم على معالجة الازمة الثقافية والتي تقوم على ثلاثة عناصر:¹⁶

- الدستور الخلقى
- الذوق الجمالي
- المنطق العلمي
- الصناعة بتعبير ابن خلدون

ولكن قبل ذلك لابد من التفريق بين الثقافة والعلم فالثقافة عند الغرب هي فلسفة الانسان اما عند مالك بن نبي فهي محيط يعكس حضارة معينة أي يضم فلسفة الانسان وفلسفة الجماعة أي معطيات الانسان ومعطيات المجتمع.

ولهذا أي محاولة لبناء تنمية اجتماعية لابد ان تقوم على اخلقة المجتمع وتعزيز ثقافته بالقيم والأخلاق التربوية وتحسين الذوق العام للمجتمع وهذا اهم مرتكز أساسي لاي نهضة او تقدم وتحقيق فعلي للتنمية الاجتماعية.

وهناك التوجيه الأخلاقي فالاهتمام بالأخلاق من زاوية اجتماعية أساسي بعيد عن البعد الفلسفي والتي تقوم على تحديد قوة تماسك الافراد داخل المجتمع يريدون تكوين وحدة تاريخية والتي تستمد في المجتمعات الإسلامية من الدين أي الإسلام الذي يؤسس للالتحام كما فعل بين المهاجرين والانصار وبالتالي أي حضارة ونهضة لابد ان تقوم وفق التماسك المجتمعي القائم على الاخلاق المجتمعية.¹⁷

وبالتالي أي عملية لا تراعي هذه التوجهات تعتبر ناقصة ولا تؤدي الهدف الأساسي الذي تقوم عليه ابعاد الانسان في الإصلاح والنجاح والتميز لأنه دائما يؤكد مالك بن نبي على أهمية التميز بين البيئة الإسلامية والبيئة الغربية من حيث التأثير وتعزيز القيم والاهداف التي تسعى اليها.

ويترجم مالك بن نبي العلاقة بين الاخلاق والروح وتأثيرها على الحضارة من خلال المعادلة الرياضية التالية : مبدا أخلاقي + ذوق جمالي = اتجاه حضارة¹⁸ فهو يعتبر هذه الدالة الرياضية مؤشر على توجهات

¹⁵ هند بوشلاغم، حربي سميرة، فلسفة التنمية والتخلف في دول العالم الثالث في فكر مالك بن نبي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية،

المجلد 8، العدد 01، 2020، ص 15

¹⁶ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 81

¹⁷ المرجع نفسه، ص 90

¹⁸ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 101

أي حضارة وفق متغيرين أساسيين الا وهما الاخلاق التي تقوم عليها هذه الحضارة والابعاد الجمالية فيها اين نجد بعض الحضارات مثل الصين يضعون شروط للجمال مثل طول القامة وشكل الرجل مما يجعل المرأة في هذه المجتمعات تقوم بممارسة طقوس وطرق صعبة من اجل تحقيق هذه الشروط الجمالية التي تتماشى مع المجتمع الصيني وقد تعتبر معيار لدمامة في مجتمعات اخري.

أي ان هناك مجتمعات تقوم على الاخلاق أولا ثم الجماليات الأخرى ومجتمعات على العكس من ذلك تراعي للجمال قبل الاخلاق كما الت اليه الان المجتمعات الغربية واليابانية وفي كوريا عندما وصلت الى مستويات تكنولوجية عالية من التفانة الى اننا نرى بعدا اخر في الاخلاق اين تدني من خلال البحث عن المثلية واجراء عمليات التجميل بشكل كبير ومتزايد وأيضا نسب الانتحار بسبب غياب اتجاه الحضارة الذي تدني فيه الذوق الجمالي رغم ان هناك اخلاق بالمفهوم العام.

توجيه العمل:

يعتبر العمل المعيار الأول لاي بناء حضاري ففي الإسلام كان بناء مسجد رسول الله هو اول عمل قام به النبي عليه الصلاة والتسليم بعد الهجرة الى المدينة وهذا دلالة على أهمية العمل وقيمه كما يؤكد مال بن نبي على ضرورة ان يكون العمل ذو قيمة هادفة لبناء المجتمع وفق حاجياته لا وفق الكسب المادي وحسب بل توجيه الجهود لما يحتاجه المجتمع¹⁹ ومثال على ذلك ما قامت به الصين في السبعينات من القرن الماضي عندما غيرت من فلسفة العمل وفق الحاجيات الأساسية لما بعد الاشتراكية التقليدية الى الاشتراكية الوطنية الجديدة التي تصب في غاية واحدة وهي النهوض بالصين واقتصادها واستثمرت في الوقت والزمان والمكان وروح العمل من خلال الاستثمار في الانسان الصيني من تعليم وتخصص والبحث في ما تحتاجه الصين اقتصاديا لهضتها فلم تقم على فكرة الاجر بقدر ما بحثت في طبيعة العمل وقيمه وربطه بقيم المجتمع ككل وهكذا كانت نتيجة الصين من تقدم واعتبارها قوة اقتصادية مهمة في الوقت الحالي.

توجيه رأسمال:

بالنسبة لمصطلح الرأسمال ليس خاص بالمنطقة العربية والإسلامية بل يعتبره دخيلا عليها فالأصل هو الثروة ورأسمال وهذين المصطلحين لهما دلالة اجتماعية تتعلق بمكانة صاحب الثروة اما رأسمال ارتبط في الأساس بالمجتمعات الغربية الرأسمالية الصناعية اين ارتبط تحريك وتدوير رأسمال بالصناعة وتحويل المواد الأولية الى مواد مصنعة هذه الدورة هي التي تمثل رأسمال .

• العنصر الثاني: التراب²⁰

يتحدث مالك بن نبي عن التراب ليس بالدلالة اللفظية بقدر ما يعبر عنه بالدلالة الاجتماعية في تكوين الحضارة وقيمه تستمد من قيمة اهل التراب له والقيمة التي تعدي للمكان وكيف يستثمر في بناء هذه

¹⁹ مرجع نفسه، ص 108

²⁰ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 131

الحضارة والقيام بها.

فالأرض التي يعيش فيها الانسان لابد ان يستثمر فيها بكل طاقاته لان الامر يتعلق بحاضره ومستقبله وليس فقط مكان للعيش بالمفهوم التقليدي فيجب الاستثمار في هذه الأرض حتى تبقى بيئة قابلة للعيش فيضرب امثلة مالك بن نبي على ذلك اين تحدث عن التشجير ومحاربة التصحر في الجزائر فالإنسان ان لم يدرك أهمية الأرض التي يعيش فيها ستأكلها الرمال وتقضي على مظاهر الحياة وتصبح منفرة للعيش ولهذا من الضروري البحث في الجانب، ويمكن ان ندرك ان بعض الدول قد انتهين لهذا الامر ليس منها الجزائر التي قامت بمشروع السد الأخضر بعد الاستقلال لحماية الأراضي الفلاحية من التصحر وأيضاً عادة لطرح هذه الفكرة مرة ثانية في الوقت الراهن واعتقد ان مالك بن نبي لا يتحدث عن المشروع بعينه بقدر ما يرد التأكيد على أهمية تحويل الأرض الى بيئة قادرة على العطاء وتطويعها الى ما يخدم الانسان وحضارته كما تقوم به الصين والهند وسنغافورة اين تم تحويل المستنقعات والوديان التي تعج بالحشرات والروائح الى أماكن غالية تستثمر في الصناعة والزراعة والطاقة وبالتالي ربط الانسان بالأرض عبر تقديرها والاستثمار فيها.

• العنصر الثالث: الوقت²¹

الوقت من بين العناصر الأساسية بل سنة من السنن الكونية التي جعلها الله في الأرض فكل شيء له ميقات سواء في العبادات او العمل وغيرها، فيعتبره مالك بن نبي جوهر الحياة الذي لا يقدر وحاول تشخيص مشكلة الوقت في المنطقة العربية والإسلامية حيث اعتبره مشكلة في العالم الإسلامي لأنه ينتهي الى العدم لأننا لا ندرك معناه.

فيطرح فكرة أساسية لتعويض تأخر المسلمين عبر ضبط التوقيت المناسب والقيام بالخطوات الصحيحة لذلك واعتبره انه يقصد التخطيط الصحيح والاستراتيجي لتحقيق ذلك وفق معادلة الزمن التي يجب ان تقسم فيه الاعمال وفق خطط وجدول زمني فعال وحقيقي.

تحليل ما سبق: نجد ان مالك بن نبي حاول ان يحدد المشكلات ويشخص مسببات الضعف حتى نستطيع ان نوصف الدواء والحلول المناسبة لذلك فصناعة التاريخ تتطلب سنن حياتية يجب ان تتوفر او نوفرها حتى نتغير ولكن العالم الإسلامي بقي يعيش بذهنية البطولة وصناعتها أي تعظيم الامجاد والتاريخ وهذا ما يفسره ان السياسيين لم يستطيعوا ان ينتجوا أفكار مقاومة للاستعمار والتخلف لكن اتجهوا الى رفع الشعارات التي تغير من الواقع خاصة في فترة الاستعمار.²²

ولهذا اذا عدنا الى العناصر الثلاثة التي ذكرها مالك بن نبي الانسان والوقت والتراب نجد ان مالك بن نبي قدم رؤية لتحقيقها بحيث ان العالم الإسلامي يقوم بتكديس الأفكار التي يتم استيرادها من الغرب في

²¹مرجع نفسه، ص 140

²² بدران لحسن، مالك بن نبي، برنامج اسمار وأفكار، تاريخ الاطلاع 2024/06/25 مأخوذ عبر الرابط التالي <https://2u.pw/kNjxKVNT>

شكل خريجي جامعات وحاملي شهادات بل يجب ان يقوم العالم الإسلامي ببناء الأفكار التي يجب تتعزز مع طبيعة المجتمع وفق معادلة الوعي أي كيف نبي حضارة وهذا أجاب عليه مالك بن نبي ان يكون عبر الوعي وحل مشكلات العناصر الثلاث الانسان والتراب والوقت وربطها وفق عملية ديناميكية ولا تتم بطريقة عفوية بل وسط تتفاعل فيها لان كل الحضارات ولدت في أحضان الفكرة الدينية وبالتالي المجتمعات الإسلامية ان تنشط الفكرة الدينية الإسلامية وفق مشروع يجسد على ارض الواقع وإعادة توجيهها من خلال فكرة التوجيه التي ذكرناها سابقا أي توجيه الثروة التي يمتلكها المسلم وجعلها رأسمال يتحرك وينتج مثل الاقتصاديات الكبرى وفق توجيه العمل الذي يتحرك وفق النص القرآني وبين ثنائية الجمال والأخلاق حتى يتم الابتعاد عن الابتذال والفساد وانحطاط الاخلاق هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب توجيه الاعمال حتى لا تتعارض الاعمال والأفكار السياسية ضد الاقتصاد وغيرها وحينها يصبح للعمل قيمة فعلية، وفي النهاية يمكن ان نحرك المجتمعات الإسلامية خارج الاطار التقليدي الى ما يوافق السنن الكونية التي وضعها الله فالإنسان يقوم على فكرة العمل وليس فقط الكلام او جعلها ظاهرة كلامية فقط .

3-شروط تجاوز قابلية الاستعمار لتحقيق التنمية الاجتماعية:

أولى المشكلات: مشكلة الافكار

إشكالية تحقيق التنمية وتجاوز التخلف في الدول الإسلامية والعربية يحتاج الى تحديد المشكلات واستطاع الى حد كبير دراستها من منطلق الأفكار وان المجتمعات الإسلامية أصبحت لديها قابلية للاستعمار جعلها ضعيفة وليس العدو هو الأقوى وهذا اكتسبه حسب مالك بن نبي بدا بعد الدولة الموحدية التي ركنت الى الدروشة والصوفية ولم تعمل على التغيير وبناء الأفكار على عكس ما كانت عليه من قبل فرغم المجتمعات الإسلامية السابقة تعرضت الى الغزو مثل التتار الا ان المسلم يعود الى الجهاد والتحرر بسبب طبيعة الفرد المسلم والقيم والأفكار التي كانت سائدة وربما يذهب الى الثورة الجزائرية اين استطاعت ان تتحرر من خلال الدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين التي غيرت الفكر ومعتقدات المجتمع الجزائري عكس الساسة في تلك الفترة وهذا ما تماشى مع السنن الكونية التي وضعها الله للنجاح.

وهذا ما سنطرحه في هذا العنصر بشيء من التفصيل حول المشكلات التي طرحها مالك بن نبي لبناء حضارة إسلامية وميلاد مجتمع حقيقي وفعال.

وأول ما طرحه مالك بن نبي مشكلة الأفكار وفي هذا السياق يقسم مالك بن نبي الأفكار التي تعيق حركية المجتمع إلى: أفكار قاتلة وأفكار ميتة، فالأفكار القاتلة هي الأفكار التي تقتل في الفرد حركيته ودافعيتها للبناء والتجديد، أفكاراً تبعث على الخمول والكسل وقهر الإرادة، وتستنهض بواعث الإجرام والأحقاد والنزاع بين الأفراد فتؤدي به إلى الاقتتال والتفكك. أما الأفكار الميتة فهي ما يجول بالخاطر من أفكار فاقدة للحياة، عديمة الفعالية كالخرافات والشعوذة والقابلية للاستعمار، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: "إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي "أفكارا ميتة" تمثل خطرا

أشد عليه من خطر "الأفكار القاتلة"، إذ الأولى تظل منسجمة مع عاداته وتفضل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تُكوّن ما لم نُجرِ عليها عملية تصفية، الجرائم الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل، وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه.²³

ويمكن ان نوضح اكثر ما طرحه مالك بن نبي من غياب رؤية وأفكار حضارية لم تمس الواقع بل ارادت تصادم مع الحضارة الغربية فمالك بن نبي انتقد جهود الافغاني الذي سعي الى التغيير والتخلص من الاستعمار لأنه لم يستند على منهج علمي يجسد المشكلات ويقوم بحلها فإصلاح القوانين لا يبدأ من الأسفل أي الانسان أي إصلاحه وتخليصه من اشكال الضعف التي ترسخت في ذاته منذ عهد ما بعد الموحدين أي ان الافغاني نظر الى المشكلة من زاوية سياسية فقط كما انتقد محمد عبده في طريقة إصلاحه القائمة على الكلام وليس على فعالية عقيدة المسلم.²⁴

فالفكرة كانت لها قيمة واصالة في المجتمع الإسلامي اين اخذ الاستعمار يترصدها و يترقبها ويستغل ضعف القيمة الاجتماعية فجعل شعب ما بقيم الأفكار التي يملكها يجعل الاستعمار او محترفو الصراع الفكري يستعمل أجهزة مراقبة لترصد الأفكار بيد ان الاستعمار ليس من هواة الرقائق الفكرية او المولعين بها ولا هو من زارعي الأفكار او مكتسبها بل يحافظ على احتكاره للأفكار وترصد تحركاتها باهتمام عملي بالغ ذلك ان الرهان يتعلق بحماية واحتكار تلك الأفكار لنفسه بحيث يحاول فيما بعد صياغتها على طريقته الخاصة يجلبها العالم الإسلامي، فيجندون اخصائيين في مختبراتهم النفسية ويستعملون وسائل استعلام للإحاطة بكل الثغرات النفسية للمجتمع الجزائري بل ويمتلكون منهجا يتيح لهم استبدال قيمة فكرة ما بفكرة مضادة لها تماما.²⁵

وإذا ما عدنا الى تطور الأفكار في العالم الإسلامي منذ بداية عصر النهضة مع أفكار جمال الدين الافغاني ومحمد عبده او ما يعرف باليقظة الأولى سنة 1858 الى وقتنا هذا نجده قد قسم الى ثلاث مراحل حسب مالك بن نبي وهي:²⁶

- عصر النوم الذي استمر قرونا عديدة
- عصر الانتباه او استرداد الوعي
- عصر الفوضى والذبذبة الراهنة.

²³ حرز الله محمد لخضر، فاعلية الأفكار في التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي، تاريخ النشر 2019/10/12، تاريخ الاطلاع 2024/06/26 عبر الرابط <https://2u.pw/nXrQqsuA>

²⁴ خالد قوزي يعقوب المحاسنة، مفهوم الاستعمار والقابلية للاستعمار في فكر مالك بن نبي، مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 6 / العدد 02، 2022، ص 15

²⁵ امين طالبى، تجليات القابلية للاستعمار من خلال صراع الأفكار عند مالك بن نبي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 10 / العدد 3، 2022، ص 874

²⁶ مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، تر: الطيب الشريف، دمشق: دار الفكر، ط2، 2000، ص 26

والعصر الأخير الذي تعايش معه مالك بن نبي يعتبره يعاني من عدم الثبات وإيجاد شخصية للعالم الإسلامي والفرد المسلم وقام بمقارنة ميلاد المجتمع الياباني الحديث سنة 1868 أي بفارق 10 سنوات عن بداية عصر النهضة في العالم الإسلامي إلا أن اليابان استطاعت تجاوز العديد من المراحل خاصة ما يعرف بالطور ما قبل الاجتماعي وبدا في تقليد الكبار أي أوروبا فاشترى الأشياء من غير فهم للأفكار حتى أصبح سنة 1905 قوة تحسب لليابان وقد تمثلت للأفكار فيما يبقى العالم الإسلامي لا يزال يشتري في الأشياء.

وبالتالي من الضروري تجاوز مشكلة الأفكار عند العالم الإسلامي والتي شخصها مالك بن نبي بشكل أساسي كمعضلة فكرية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا في إطار ما يعرف بالاعتراب في ظل تزايد الانكشافية الإعلامية وتزايد الشبكات الاتصالية.

من أجل الوصول إلى النهضة وتحقيق التنمية الاجتماعية الفعلية والتي تصب في نهاية المطاف لتنمية المستدامة والشاملة نجد أن مالك بن نبي حاول تحديد المشكلات وقد سبق وأن تطرقنا إلى معضلة الأفكار التي تعتبر لب التخلف والانهيار والتهيه الذي يعيشه العالم الإسلامي.

ثاني المشكلات: المشكلات الدينية:

تعتبر المشكلة الدينية ثاني مشكلة بعد الأفكار عند مالك بن نبي وهذا بسبب أن المسلمين لم يفقدوا فعاليتهم بتمسكهم بالإسلام بل لهجرهم لروحه الحقيقية والتركيز أحيانا على العمل بدل خلق تطابق بين العمل والدين أي الروح التي تتفاعل معه فيتجانس العمل بالإيمان هذا من جهة ومن جهة أخرى غياب النقد الذاتي للمسلم²⁷ خاصة بعد مرحلة الموحدين ومن الضروري العودة إلى محاسبة النفس وفق المعيار الديني حتى يستقيم.

ثالث المشكلات: الامية:

تعتبر مشكلة الامية عند مالك بن نبي من بين المعضلات التي تعطل تقدم العالم الإسلامي فالأمية عنده ليس من لا يكتب ويقرأ إنما في منظورها الحضاري فهي نوعين الأول أمية القراءة والكتابة وأمية المتعلمين وبتقدير مالك بن نبي فهي لا تقل أهمية وخطورة عن أمية الجاهلين بل قد يزيد عنهم خطرا لأنه إذا نظر لعملية التعلم والتعليم من باب الشهادة وزيادة المستوى والمكانة فهذا الخطر لأنه أهمل أهم نقطة ألا وهي بناء المجتمع وزرع الأفكار والوعي وهو ما يسميه الحرفية في الثقافة.²⁸

رابعاً المشكلات السياسية:

تعتبر السياسة أحد أهم الأوجه التي تقوم عليها الدول والحضارات فالسياسة كما تعرف بفن الممكن وهي الوجه الآخر أيضا للحرب كما تعتبر السياسة المجال الذي يربط الحاكم بالشعوب ويؤسس للعدل والاستقامة والتنمية كخلاصة.

²⁷ خالد فوزي المحاسنة، مرجع سابق، ص 18 .

²⁸ مرجع نفسه، ص 20

وقد عبر مالك بن نبي عن أهمية السياسة ما عبر عنه كونفوشيوس اين تؤمن ثلاثة أشياء وهي:²⁹

- لقمة العيش الكافية لكل فرد
- القدر الكافي من التجهيزات العسكرية.
- القدر الكافي من ثقة الناس بحكامهم.

وعانى العالم الإسلامي من مشكلة علاقة الناس بحكامهم والتي تدخل في اطار الوظائف التي تؤديها السياسة ويحدد مالك بن نبي الأساس الذي تبنى عليه هذه العلاقة هو الرجوع الى حكم الله وتطبيق شريعته فاذا ما تخلى الحاكم عن ذلك لا تبقي طاعة له من المحكومين.

وفي المقابل لابد ان يسعى الحاكم الى توفير شروط أساسية من بينها النقد الذاتي وحسن المعاملة والنزاهة والحكمة والكفاءة السياسية³⁰، بالإضافة الى التواضع السياسي في الإشارة الى ضرورة التعاون بين الطرفين وفق العقيدة الإسلامية الصحيحة.

كما يؤكد مالك بن نبي على ضرورة تجانس عمل الدولة وعمل الفرد ينبغي ان يقوم وجوبا على عامل أخلاقي لأن السياسة بلا اخلاق يعتبر خراب للامة، على عكس السياسة في الغرب الذي يقوم على المصلحة ويغيب عنه الاخلاق بالإضافة الى النزاهة والكفاءة التي يجب ان تكون الى جانب الاخلاق.³¹

وقد قدم مالك بن نبي امثلة عن التخلي السياسي في حال الإخفاق من طرف رؤساء الدول مثل الرئيس الفرنسي السابق شارل ديغول الذي ابتعد عن السياسة بعد خسارته عام 1968 في حين العالم الإسلامي لم يشهد مثل هذه الحالات.

وفي المحصلة السياسة لابد ان تكون جمالية أخلاقية علمية لكي يكون لها معنى في مسيرة التاريخ وقد اقترح ادخال نماذج كالحسبة والتي تعرف الان بالحسبة الديمقراطية كأحد النماذج في المحاسبة والمراقبة التي تعزز الثقة بين الحاكم والشعب وهذا ما يطبقه الغرب في مسألة الرقابة القبلية والمحاسبة البعدية والتي تصب في النهاية لمصلحة الامة.

المشكلة الرابعة الأفكار القابلة للاستعمار:

طرح مالك بن نبي مشكلة كبيرة حول القابلية للاستعمار الا وهي ان القابلية تأتي وفق الأفكار المقسمة الى الميثة والمميثة فالأفكار الميثة نتاج ارثنا الاجتماعي وهي تولد لنا القابلية للاستعمار والأفكار المميثة مستعارة من الغرب أيضا تولد لنا الاستعمار والنخبة المسلمة تختار الأفكار المميثة في الثقافة الغربية مما تعزز الاستعمار.³²

²⁹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، دمشق: دار الفكر، ط2، 2002، ص 132

³⁰ خالد فوزي المحاسنة، مرجع سابق، ص 110

³¹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 132

³² مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 146

فمصدر الأفكار الميئة عند مالك بن نبي هو ما بعد دولة الموحدين وهي الأكثر فتكا وبقيت كدين في العالم الإسلامي الى يومنا هذا لا يمكن التخلص منه، في المقابل نجد ان العالم الإسلامي قام باستيراد الأفكار المميئة من الغرب حيث حمل مسؤولية هذه الأفكار النخب المسلمة هي التي تختار هذه الأفكار المريضة في المجتمعات الغربية وتضفيها للعالم الإسلامي وقد استثنى مالك بن نبي من هؤلاء المفكر اقبال حاول اجتثاث الأفكار المميئة في العالم الإسلامي.

من جانب اخر نجد ان الاستعمار يستخدم المثقف العربي والمسلم من اجل استيراد أفكار قاتلة للمجتمع بشكل غير مباشر او يقوم بتهديم وتسميم شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الإسلامية ولهذا اتجهت بعض المجتمعات والأنظمة الى بناء نوع من المقاومة مثل ما قام به المجتمع السوفيياتي اين دافع عن علاقاته ضد القوارض حتى اتخذ إجراءات جريئة ضد ما أطلق عليها المواطنة العالمية كما دافع عن وحدته الثقافية ضد ما يطلق عليه الانحرافية وحاول خلق ما يعرف بتروستكية كآلية للدفاع عن ايديولوجيته.³³

4- مناقشة وتقييم عام:

تعتبر أفكار مالك بن نبي من بين الأفكار التي سبقت زمانها ولا تزال قابلة للتجسيد اليوم وغدا لأنها أفكار استطاع من خلالها تحديد المعضلة التي يعاني منها العالم الإسلامي والتي تتركز أساسا على الأفكار المميئة والمميئة خاصة بعد عهد الموحدين مما خلق قابلية للاستعمار في العالم الإسلامي.

فالتنمية وبناء الحضارة عند مالك بن نبي لخصها في معادلة أساسية وهي جمع التراب مع الزمن والانسان عبر دمج الدين والتاريخ كمسار تفاعلي بينها والاستثمار في الانسان كخيار استراتيجي من اجل تحقيق ذلك عبر الاستثمار في الرأس مال البشري او كما يسميه الانسان من حيث التعليم والتجديد في الأفكار خاصة مع اننا في وقت أصبح الاعلام الجديد وهيمنة مواقع التواصل الاجتماعي هي سمة السائدة في شبكة العلاقات الدولية والاجتماعية.

فنجد بعض الدول استثمرت في الانسان كيف يكون هذا الاستثمار يكون عبر التعليم لأنه هو البوتقة التي تنصهر فيها الأسس المجتمعية ومكان زرع القيم والأخلاق واكتساب المهارات وهذا ما اتجهت اليه الدول المتقدمة اليه مثل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدول الراهنة مثل سنغافورة والصين وهذا ما نستشعره من الأرقام والاحصائيات التي تصدر كل سنة.

وحسب التقارير الدولية في ترتيب الأنظمة التعليمية لسنة 2023 كان كما يلي:

المرتبة الأولى كانت للولايات المتحدة الأمريكية ثم المملكة المتحدة وبعدها المانيا مع تراجع فنلندا الى 15 عالميا وسنغافورة في المرتبة 22 والصين في المرتبة 23 وجاءت الامارات العربية المتحدة في المرتبة 28 ومعيار

³³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ط3، 1986، ص89

هذا التصنيف يعود للجودة في التعليم³⁴ فهذه الدول تدرك جيدا أهمية التعليم والاستثمار في الانسان ووضع الأنظمة التعليمية وفق الانسان ومتطلباته واحتياجات المجتمع وصناعة الأفكار في اطار الابتكار واطراف معيار جديد الا وهو الجودة أي كيف تكون العملية التعليمية ابتكارية تصنع الإضافة في المقابل نجد ان معظم الدول التي تعاني من التخلف انها تستورد الأنظمة التعليمية والمناهج حسب ما تعتقده انه استيراد لما افضل وهذا ما تحدث عنه مالك بن نبي بانه استيراد للأشياء وليس للأفكار وبالتالي استنساخ تجارب لا تتماشى مع طبيعة الأنظمة الإسلامية.

وحسب نظام كيو إس العالمي فطرح الترتيب العالمي والذي جاءت فيه استراليا في المرتبة الأولى ثم كندا وبعدها بريطانيا ورابعا الولايات المتحدة الأمريكية والمعيار الذي يعتمد هذا التصنيف العالمي هو التشجيع على التفكير الإبداعي والمستقل وهذا ما تعمل عليه الدول من اجل تحسين التعليم وتكوين مخرجات تعليمية تستجيب لحاجة المجتمع.³⁵

الا ان بعض الدول كماليزيا وسنغافورة أدركت أهمية الاستثمار في الانسان وفي التعليم تحديدا من خلال وضع برامج تتماشى مع احتياجات السوق ومتطلبات الفرد في هذه المجتمعات وهذا دعي اليه مالك بن نبي، فماليزيا تعتبر من اهم التجارب العالمية الرائدة في مجال التنمية اين ربطت ما بين الحداثة والإسلام اين قامت على معادلة تراعي التوازن بين الجانب الروحي والاقتصادي والتربوي بمعني بناء مشروع حضاري وفق ما طرحه مالك بن نبي.

فأول ما اتجهت اليه ماليزيا هو التخلص من مشكلة التبعية الاقتصادية ومن رواسب الاستعمار بمفهوم مالك بن نبي ولم تكن قابلة للاستعمار على خلاف الدول الإسلامية رغم انها تتعامل باللغة الإنجليزية الا انها لم تسمح للمستعمر اني يتحكم فيها اقتصاديا وسياسيا وهذا ما دعي اليه مهاتير محمد منذ توليه رئاس الوزراء عام 1981 الى سياسة النظر شرقا والمقصود بها اعتناق قيم العمل السائدة في اليابان والتي تقوم أساسا على الانضباط الشديد أي انتهج سياسة العمل اليابانية التي تتميز بالانضباط وتقديس العمل واحترام الوقت كما انتهج أيضا قانون أخلاقي أساسه القيم الإسلامية التي تحث على اتقان العمل فبين ان بين طوكيو ومكة معايير القيم الايمانية التي تمثلها مكة المكرمة وقيم العمل اليابانية والذي لخصها في اذا اردت الصلاة فسأذهب الى مكة واذا اردت العمل فسأذهب الى اليابان".³⁶

ولهذا نجد ماليزيا استطاعت التخلص من الأفكار التي زرعها المستعمر البريطاني وخلق تفرقة بين مكونات المجتمع الماليزي والابتعاد عن الطائفية الى بناء مجتمع يقوم على الوعي وفك الترابط الحضاري مع المستعمر وتحقيق بيئة تتلائم مع طبيعة المجتمع الماليزي وهذا لب فكرة مالك بن نبي في تحقيق النهضة.

³⁴ جودة التعليم لسنة 2023، تاريخ الاطلاع 2024/06/26 مأخوذ من الموقع <https://2u.pw/xGOA1AD>

³⁵ 6 افضل أنظمة تعليمية في العالم للتعليم العالي، تاريخ الاطلاع 2024/06/30 مأخوذ من الموقع www.idp.com/middleeast

³⁶ بلحناني جوهر، فكر مالك بن نبي من التنظير الى تطبيق التجربة الماليزية انموذجا، مجلة المدونة، المجلد 09/ العدد 01، ماي 2022، ص

ومثال اخر على تطبيق فكرة مالك بن نبي التجربة الرواندية فالعالم لم ينسى الحرب الاهلية في رواندا ما بين 1994-1995 والتي خلفت الملايين من القتلى ما يقارب 800.000 قتيل وخرجت من هذه الحرب منهكة ومدمرة كليا الا انها استطاعت الخروج من هذه المنحة عبر سلسلة من الإجراءات والسياسات والمكان هنا ليس للحديث عن السياسات الاقتصادية بل الفكرة الأساسية في التجربة الرواندية انها تحررت من الارتباط مع المستعمر الفرنسي تحديدا.

ففي أحد التصريحات التي قدمها الرئيس الرواندي وعن أسباب نجاح التجربة الرواندية قال الرئيس بول كاغامي أثناء المقابلة دور الفترة الاستعمارية في إذكاء الصراعات في القارة السمراء، مؤكدا أن الحرب الأهلية الرواندية كانت نتيجة حتمية للسياسات التي اتبعتها القوى الاستعمارية.

عبر بول كاغامي صراحة عن موقفه من القيم الغربية التي تسعى الدول الكبرى إلى فرضها على شعوب العالم، مؤكدا في الوقت ذاته أن الشعوب الأفريقية تمتلك قيما خاصة بها وهي الأنسب لحل مشاكلها نظرا لتناغمها مع السياقات المحلية، وقد ضرب لذلك مثلا فيما يتعلق بقدرة المحاكم التقليدية الرواندية على النظر في مليون قضية خلال 10 سنوات.³⁷

وهذا يدل على ادراك الشعب الرواندي حقيقة الدر الذي زرعه المستعمر في تدمير الشعوب الافريقية وزرع الفتن وانه لا بد ان تعمل وفق قيمها أي افارها كما قال مالك بن نبي بعيدا عن القيم الغربية التي لا تتماشى مع طبيعة الفرد الافريقي او اين ما كان والتركيز على التنمية كخيار أساسي والاستثمار في التعليم وجعل الانسان هو مركز التغير وإلغاء التفرقة بين الهوتو وتوتسي واعتباره مواطنا روانديا فقط وبالتالي اجتمعت قيمة الفكرة والعمل وتم جمع التراب أي الوطن كقيمة فعلية والانسان كقيمة روحية والتحرر من اللغة الفرنسية كرمزية للأفكار الاستعمارية وخلق رابط مع الحضارة الغربية عبر اللغة الإنجليزية كألية لتحقيق التنمية وتطوير التعليم مع الإبقاء على خصائص المجتمع الروندي.

ظهر بعد اخر للفكر المالكي وهو اقتصاد المعرفة والذي يربط المعرفة بالتنمية والذي يعتمد على الابداع والاستثمار في البشر والانسان واصبح اقتصاد المعرفة هو الموجه الأساسي للعالم بل غاية له خاصة مع التطور التكنولوجي الكبير الذي يعرفه العالم وتغير الخريطة الجيوسياسية مع صعود دول جديدة كالصين والهند ورواندا والبرازيل هذه الدول أصبحت تبحث في اقتصاد المعرفة وهذا ما توجه اليه الجزائر ما بعد الحراك 2019 من خلال استحداث وزارة اقتصاد المعرفة وتشجيع البحث العلمي كخيار لمرحلة ما بعد الطاقة وربما توجه الجزائر الى اللغة الإنجليزية كخيار لفك الارتباط مع المستعمر الفرنسي والتوجه نحو السوق العالمية والبحث العلمي في اطار استغلال اللغة الإنجليزية في المناهج التعليمية ابتداء من السنة الثالثة الابتدائي وتشجيع الدراسة والبحث في الجامعة باللغة الإنجليزية من اجل زيادة مرتبة الجامعات الجزائرية وإيجاد مكانة لها في التصنيفات العالمية والتوجه نحو الابتكار عبر خلق الية تعرف بالمؤسسات

³⁷يعقوب عبد الله ابن، سر نجاح التجربة الرواندية، تاريخ النشر 2021/11/10 وتاريخ الاطلاع 2024/07/01 مأخوذ من موقع

<https://2u.pw/QVIAwnP>

الناشئة التي تبدأ من الجامعة أي الفكرة التي يطرحها الطالب كخيار لإيجاد حلول للمشاكل التي نعاني بها وهذا يعتبر خطوة نحول التحول وفق هذه المقاربة التي تحتاج الكثير ليس فقط في اللغة بل هي مسار متكامل من البداية من المراحل الأولى للتعليم وفق مشروع حضاري متكامل يراعي خصوصية المجتمع جزائري.

يعتبر أكبر تحديات المجتمعات في الوقت الراهن هو تحقيق الامن الفكري والمجتمعي خاصة مع افرزات العولمة والتحديات التي تواجه العالم امام تدفق المعلومات ومحاولة نمذجة النموذج الغربي على كل العالم ولهذا لا توجد دول ضعيفة او قوية اقتصاديا فقط بل بما تملكه من قدرات علمية وتكنولوجية وتعليمية ومن بين مظاهر الامن الفكري والمجتمعي الأفكار التي تهدد المجتمعات كالمثلية الجنسية التي أصبحت سياق دولي ومسالة المساواة الجندرية وحقوق الانسان هذه كلها تتقاطع معها أفكار متطرفة أخرى منها الإرهاب الذي الصق بالإسلام وانتشار الفكر التكفيري كداعش والقاعدة وزيادة عدد المتعاطفين والمجندين عبر نشر الأفكار التي يتم استحداثها من طرف بعض النخب الغربية كما ذكرها مالك بن نبي في اطار مراقب الاستعمار والذي يعمل على خلق اليات لمراقبة الأفكار المتطرفة وحمايتها وهذا ما يفسر لجوء قيادات الجماعات الإرهابية للدول الغربية خاصة بريطانيا للاحتواء بها وأيضا هذه الدول هي التي تسن القوانين التي تشجع المثلية وتحميها بل هناك نخب داخل المجتمعات الإسلامية تروج لأفكار مميتة تبعث على الكفر والتكفير والتشكيك في القيم الأساسية وبالتالي خلق هشاشة داخل المجتمعات وفسادها .

الخاتمة:

يعتبر مالك بن نبي مفكر سبق عصره وزمانه من حيث طرحه وافكاره وقد وضع خلاصة أي تنمية ومشروع حضاري وهي التراب + الانسان + الوقت والتي يجب ان تقوم على الدين والأخلاق وإبقاء الأفكار هي المحرك الأساسي لأي تغيير فإما ان نبدع بما يتماشى مع احتياجات المجتمع او نستورد الأفكار الميتة والمميتة التي تكون تبعية على جميع المستويات فالخيار متروك للمجتمعات والقادة.

وقد استطاع مالك بن نبي تشخيص المشكلة في العالم الإسلامي والتي اعتبرها ترتكز أساسا حول عدم وضوح الهدف لدى المجتمعات الإسلامية هل تريد فعلا تحقيق نهضة ام لا الى جانب عدم وضع استراتيجيات خاصة بالمشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية والتي تقوم تحديدا على الأفكار والتبعية ثم إشكالية التوجيه داخل المجتمعات الإسلامية من أفكار ورأسمال وانسان وان العالم الإسلامي لن يتغير اذا لم يحول الثروة من بترول وغاز ومناجم ورؤوس المال المكدسة في البنوك المحلية والدولية الى تنمية عبر استثمارها في الانسان أي التعليم ووضع مناهج تعليمية تقوم على الابداع وجعل الانسان منطلق من التنمية وتعود اليه وفق مقاربة التنمية الشاملة أي التنمية وفق الابعاد الإنسانية والحضارية.

في ظل الانفتاح الإعلامي وتطور وسائل التواصل الاجتماعي وزيادة الانكشافية الإعلامية ان نقوم بحل

مشكلاتنا الاجتماعية وفق مقارنة الامن الفكري الذي يؤسس لوضع مرتكزات فكرية قوية تراعي البعد الديني الوسطي ضد أي تطرف وان تقوم على خصوصية ومكونات أي مجتمع من حيث اللغة والعادات والتقاليد يقوم أيضا على صياغة محتوى اعلامي وفكري والتي تخلص في النهاية الى بناء مجتمع قوي.

الابداع في التعليم يعتبر هو الأساس في أي استراتيجية ناجحة لاي دولة فالنماذج الناجحة كثيرة استطاعت ان تتحرر من القيود الاستعمارية من خلال الانسان كقيمة من خلال جعل المجتمع قوي وفعال اذ لم يستثمر في التعليم والابداع فلن يسقط امام تدافعات العولمة ومواقع التواصل الاجتماعي.

لابد ان تحل كل المشكلات الاجتماعية كأولية واولوية لتحقيق التنمية تسعى الى تجاوز مشكلة التاريخ وارتباط مع المستعمر وإعطاء قيمة للإنسان من حرية والتحرر من الأفكار المميته وفتح المجال للإبداع وفق مقارنة أخلاقية تقوم على ما جاء به الإسلام وبهذا ستتحقق مقارنة مالك بن نبي في ذلك.

قائمة المراجع :

- 1- معمري بن عيسى، التنمية تطور مفهومها واهم نظرياتها وعقبات تحقيقها في الدول النامية "، مجلة أبحاث، العدد 05، افريل 2018، ص 55
- 2- اوصيف محمد الصالح، سعد قويدر، الفكر الحضاري التنموي عند مالك بن نبي مقارنة فكرية سنغافورة انموذجا، مجلة أبحاث ودراسات تنموية، المجلد 9 / العدد 02، ديسمبر 2022، ص 105
- 3- التنمية الشاملة، منظمة الاسكوا، مأخوذ من موقع <https://www.unescwa.org/ar/focus/inclusive> تاريخ النشر 2024، تاريخ الاطلاع 2024/06/25
- 4- سعاد إبراهيم السلموني، استراتيجية التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2020، ص 11
- 5- العابد مهبوب، التنمية في فكر مالك بن نبي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 01، 2012/06/15، ص 584
- 6- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986
- 7- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة القضايا الكبرى، تر: عمر كامل المسقاوي، دمشق: دار الفكر، 2000
- 8- يوسف ازروال، ظاهرة التخلف ومسألة التنمية في ضوء فكر مالك بن نبي، المجلة الجزائرية للامن والتنمية، العدد 15، جويلية 2019، ص 53
- 9- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986
- 10- هند بوشلاغم، حربي سميرة، فلسفة التنمية والتخلف في دول العالم الثالث في فكر مالك بن نبي،

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 8، العدد 01، 2020، ص 15

11- بدران لحسن، مالك بن نبي، برنامج اسمار وأفكار، تاريخ الاطلاع 2024/06/25 مأخوذ عبر الرابط
التالي <https://2u.pw/kNjxKVnt>

12- حرزالله محمد لخضر، فاعلية الأفكار في التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي، تاريخ النشر
2019/10/12، تاريخ الاطلاع 2024/06/26 عبر الرابط <https://2u.pw/nXrQqsuA>

13- خالد قوزي يعقوب المحاسنة، مفهوم الاستعمار والقابلية للاستعمار في فكر مالك بن نبي، مجلة
الناقد للدراسات السياسية، المجلد 6 / العدد 02، 2022، ص 15

14- امين طالي، تجليات القابلية للاستعمار من خلال صراع الأفكار عند مالك بن نبي، مجلة الحكمة
للدراستات الفلسفية، المجلد 10 / العدد 3، 2022، ص 874

15- مالك بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، تر: الطيب الشريف، دمشق: دار الفكر، ط2، 2000

16- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، دمشق: دار الفكر، ط2، 2002

17- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار
الفكر، ط3، 1986

18- جودة التعليم لسنة 2023، تاريخ الاطلاع 2024/06/26 مأخوذ من الموقع
<https://2u.pw/xGOA1AD>

19- 6 افضل أنظمة تعليمية في العالم للتعليم العالي، تاريخ الاطلاع 2024/06/30 مأخوذ من الموقع
www.idp.com/middleeast

20- بلحنافي جوهر، فكر مالك بن نبي من التنظير الى تطبيق التجربة الماليزية انموذجا، مجلة المدونة،
المجلد 09 / العدد 01، ماي 2022، ص 1116

21- يعقوب عبد الله ابن، سر نجاح التجربة الرواندية، تاريخ النشر 2021/11/10 وتاريخ الاطلاع
2024/07/01 مأخوذ من موقع <https://2u.pw/QVIAwnP>